الفساد والأمن البيئي من منظور إسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

خلق الله الإنسان ، **واستخلفه في الأرض،** قال تعالى : (.. **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..**) (البقرة: 30)، ودعاه للاستفادة مما في الكون ، من أجل أن يؤدي وظيفة الاستخلاف على أكمل وأتم وجه . وقد جاءت الشريعة الاسلامية بتشريعاتها الشاملة ، تكافح الفساد والانحراف في المجتمع قبل وقوعه وبعده، ولتحقق مصالح الناس الدينية والدنيوية ، ومن أهم هذه المصالح حفظ مقاصد الشّريعة وقد دأب العلماء المسلمون على حَصْر مقاصد الشريعة الكلية في خمس هي: (**حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال**) . وإذا ما استعرضنا المقاصد الخمس، وجدنا أن مقصد **حفظ البيئة** يمكن أن يكون مقصدا كليا، فلو تصورنا استمرار التلوث البيئي على هذه الوتيرة الخطيرة ، فسنجد أنفسنا بعيدين كل البعد عن إمكانية استمرار الإستخلاف في الأرض وإعمارها ، لأن استمرارية الجنس البشري يتهددها الخطر. وهذا الخطر يتعلق **بحفظ النفس** ، **وبحفظ النسل،** ليس من باب عدم اختلاط الأنساب، وإنما حفظه من أنواع التلوث التي تؤدي إلى **العقم،** أو **الاجهاض،** أو **التشوهات الخلقية،** أو **الأمراض المزمنة.** وكذلك الحال بالنسبة لبقية المقاصد ، ففساد البيئة يؤثر عليها سلبا في كثير من النواحي .

والاستخلاف يعني أن الإنسان وصيّ على هذه البيئة لا مالك لها، وأنه مستخلف على إدارتها وإعمارها، وبناءً على ذلك ، فليس لأحد أن يدّعي أن له حق التصرف فيها بالإفساد والإتلاف، بل هي بمقتضى ملكية الله لها الملكية الحقيقية، تشبه أن تكون ملكا استخلافيا للناس جميعا عبر الأجيال المتتابعة ([1]) ويقتضي واجب الاستخلاف أن يتبع المخلوق ما يأمر به من استخلفه في هذه البيئة ، وأن يتصرف فيها تصرف المؤتمن على ما لديه من أمانات ، فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله ، وليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء؛ فالملكية في الإسلام محددة بضوابط وشروط حددها سبحانه وتعالى، **منها** : حسن استغلالها وصيانتها، والمحافظة عليها من أي تدمير أو تخريب ، قال سبحانه : (...**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا...**) (الأعراف: 56)، وقال عز من قائل: (.. **وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**} (البقرة:205). والفساد ظاهرة إنسانية قديمة ، عرفتها البشرية على مر كل الأزمنة ، ولا يكاد يخلو منه عصر من العصور. وقد كانت هذه الظاهرة الأساس في انهيار وسقوط أغلب الحضارات .

---

[1] – انظر : عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج1/ ص 155.

تعريف الفساد في اللُّغة والاصطلاح :

هذب الاسلام أتباعه ، بما فرض من تعاليم شرعية ، ونظم أخلاقية ، تحمي المجتمع وتصونه من أسباب الفساد والانحراف .

والفساد في اللغة : ضدُّ الصلاح، وهو مصدر فَسَدَ يَفْسُدُ فَسَادًا ، **والمَفْسَدَة:** خِلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح . وتَفَاسَدَ القومُ تدابَرُوا ، وقطعوا الأَرحام ([1]) . والمتتبع لاستخدامات العرب لهذه اللفظة ، يجد أنها تطلق على : "التّلف ، والعطب، وَالِاضْطِرَاب ، والخلل ، والجدب ، والقحط" ، يقال : فسد اللحم أو اللبن ، أي : تلف . وفسد العقل ، بطل . وفسد الرجل : جاوز الصواب والحكمة . وفسدت الأمور : اضطربت وأدركها الخلل . ([2]) . ويتبين مما سقناه من أقوال **أئمة اللغة** أن الفساد جاء في اللغة مقابلاً للصلاح، وأنه يفيد الخروج عن الاعتدال، وأن المفسدة ضد المصلحة .

والفساد في الاصطلاح : يختلف الحدُّ الاصطلاحي للفساد باختلاف العلوم التي تعرضت لتعريفه ، فهو يتناول جميع المحرمات والمكروهات شرعًا ، إذ هو في حقيقته خروج عن منهج الله تعالى ([3]).

وقد تحدثت السنة النبوية عن الفساد والمفسدين في أحاديث كثيرة ، منها:

حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ :إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، إلى قوله : ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ..)([4]) . وفي الحديث حث على إصلاح القلب ، وحمايته من الفساد ، فهو **محل النية** التي بها صلاحُ الأعمال وفسادها ، وبيان أن صلاح الجسد وفساده تابع للقلب . ([5])

ومما سلف يمكننا القول: إن الفساد هو: كل مخالفة لنص شرعي ، أو اتفاق عُرفي معتبر ..

---

[1] – انظر: معجم مقاييس اللغة 4: 503، لسان العرب 3: 335 مادة فسد .

[2] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، : 704 . وانظر : محمد حسن حسن جبل : المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن ، المجلد الثالث ، ص 1671– 1672.

[3] – انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج7 ص 83 ، تحقيق: عامر الجزار وزميله .

[4] – أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه, حديث: ٥٠.

[5] – انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، 11: 29. و مجموع الفتاوى لابن تيمية : 7: 186.

وجوهُ الفساد في ضوء نصوص القرآن

جاء إطلاق لفظ الفساد في كتاب الله عز وجل ، على وجوه متعددة، وقد ذكرها من كَتَب في: **الوجوه والنظائر**([1]) كمقاتل بن سليمان ([2]) والدامغاني([3]) وابن الجوزي ([4]) وغيرهم. وقد ألقت نصوص القرآن الكريم الضوء على وجوه الفساد في مواضع عديدة ، منها :

أولا : الكفر بالله سبحانه :

الكُفر في اللغة : الستر والتغطية، ويقال للزارع كافر، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض، قال الله تعالى: (**أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**) (الحديد: 20) ([5]) . وقال الأزهري: (والكفّارات سميت كفارات، لأنها تكفر الذنوب أي تسترها، مثل كفارة الأيمان، وكفارة الظهار، والقتل الخطأ) ([6]) والكفر نقيض الإيمان، وهذا المعنى مأخوذ من الستر والتغطية وراجع إليه، قال ابن فارس: (لكاف والفاء والراء ، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية) ([7]).

والكفر اصطلاحاً: هو نقيض الإيمان، سواء أكان بالقلب ، أو اللسان ، أو الأعمال فعلاً وتركاً.

والمتفق عليه عند أهل السنّة: أن الإيمان اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، والكفرُ نقيضُه، فيكون : بالقلب، كاعتقاد إله مع الله، أو جحد وحدانية الله، أو بغض النبي – صلى الله عليه وسلم – أو دين الإسلام، وبقول اللسان: كالتلفظ بألفاظ الكفر كسبّ الله ورسوله ، أو الاستهزاء بالدين، أو بترك الشهادتين. وبالأعمال: كالسجود للصنم، أو ترك العبادات والواجبات بالكليّة. أو جحد ما علم من الدين بالضرورة. ([8]) ويسعى كثير من المفسدين في الأرض إلى نشر الكفر بالله تعالى ، بشتى الوسائل ومختلف الأساليب ، قال

---

[1] – انظر الزركلي : البرهان في علوم القرآن 102/1.

[2] – هو مقاتل بن سليمان ، انظر: سير أعلام النبلاء201/7.

[3] – هو الحسين بن محمد ، انظر: كشف الظنون 1067/2 .

[4] – هو عبدالرحمن ابن الجوزي، انظر: سير أعلام النبلاء 365/21.

[5] – ابن فارس : معجم مقاييس اللغة: 5 : 191 .

[6] – تهذيب اللغة 10 : 114

[7] – ابن فارس : معجم مقايس اللغة ، 5: 191 .

[8] – انظر : شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (472/2–473، وابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل : 3 : 118 .

تعالى :(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة:27) فإفسادهم في الأرض: باستدعائهم إلى الكفر، والترغيب فيه، وحمل الناس عليه، وصدّهم للنَّاس عن الإيمان، والاستهزاء بالحقِّ . ([1]).

ثانياً: النِّفَاق:

لفظ النفاق مشتق من: **(النافقاء)** وهو موضع يرققه اليَربوع من جحره، فإذا أُتي من قِبَل بابه الظاهر، وهو **(القاصعاء)**؛ ضرب بابه الخفيّ (النافقاء) برأسه فانتفق، أي خرج، ومنه اشتقاق النفاق؛ لأن صاحبه يكتمُ خلاف ما يظهر ، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء) .([2]) والنفاق هو أن يظهر الانسان خلاف ما يبطن ([3]) ، قال تعالى :(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**) (البقرة: 11-12 . يقول الحقّ جلّ جلاله: { وَإِذَا قيل) لهؤلاء المنافقين: (لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ) بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن، وإظهار الهرج والمرج والمحن، وإفشاء أسرار المسلمين إلى أعدائهم الكافرين، فإن ذلك يؤدي إلى فساد النظام، وقطع مواد الإنعام، (قَالُوا) في جوابهم الفاسد: (إنما نحن مصلحون) في ذلك، فلا تصح مخاطبتنا بذلك، فإن من شأننا الإصلاح والإرشاد، وحالنا خالص من شوائب الفساد، قال تعالى: (ألا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ) هنالك، ولكن لا شعور لهم بذلك. **قلت:** فردّ الله ما ادعوه من الانتظام في سلك المصلحين بأقبح رد وأبلغه، من وجوه الاستئناف الذي في الجملة، والاستفتاح بالتنبيه، والتأكيد بإن وضمير الفعل، وتعريف الخبر، والتعبير بنفي الشعور، إذ لو شعروا أدنى شعور لتحققوا أنهم مفسدون . وهذه الآية عامة لكل مَن اشتغل بما لا يعنيه . ([4]) .

ثالثاً: إثارة الفتن والحروب:

ومن ذلك قوله تعالى في اليهود : (... **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) (المائدة: 64)أي: يسعون في الأرض مفسدين أو للفساد، وذلك بإثارة الحروب والفتن،

---

[1] – انظر: تفسير ابن عطية 1: 99.

[2] – ابن فارس : معجم مقاييس اللغة 455/5.

[3] – تفسير ابن كثير : 1: 50 .

[4] – انظر: ابن عجيبة : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، 1: 51

وهتك المحارم واستحلالها، وسفك الدِّماء، والكيد للمسلمين وخداعهم، **(والله لا يحبُّ المفسدين)** تذييل مقرر لما قبله من الصفات الذميمة التى دمغ الله – تعالى – بها اليهود. أى أن حال هؤلاء اليهود أنهم يجتهدون فى الكيد للاسلام وأهله وأنهم يسعون سعيا حثيثاً للافساد فى الأرض عن طريق إثارة الفتن، وإيقاظ الأحقاد بين الناس. والله – تعالى – لا يحب المفسدين بل يبغضهم ويمقتهم، لإيثارهم الضلالة على الهدى، والشر على الخير.. ([1])

أنواع الفساد وصوره من خلال آيات القرآن

الفساد لفظ شامل لكافة النواحي السلبية في الحياة ، وقد جعل الشرع الحنيف كل المعاصي فساداً في الأرض وسنعرض لأهم أنواعه التي تُحدث خللاً كبيراً في المجتمعات ،وهي كثيرة ، منها :

1 – الفساد العقدي :

الاعتقاد ركن هام وقاعدة رئيسة للإيمان ، فإن تطرق الفساد للاعتقاد فهذا نذير خطر علي إيمان الإنسان، يؤدي إلي زواله في الغالب، أو اضطرابه علي أحسن الأحوال.

العقيدة لغة : كلمة العقيدة من الفعل الثلاثي (عقد) ، فإن العين والقاف والدال أصل واحد ، يدل على شد ، وشدة وثوق ،([2]) فيقال : اعتقد الرجل كذا : أي عقد قلبه بشدة وثقة عليه ، دون شك ، ومن ذلك قيل العقيدة : وهي ما يدبن به الانسان ، ويقال : له عقيدة حسنة ، أي : سالمة من الشك .([3])

والعقيدة شرعا : مصطلح العقيدة له مرادفات عند السلف وأتباعهم ، منها: الايمان ، وأصول الدين والشريعة ، والفقه الأكبر ، وكذلك السنة ، ليميزوا بين عقيدة أهل السنة ، وعقيدة أهل البدعة . ([4])
ومن التعريفات المعاصرة: التصديق الجازم بالحقائق الإيمانية الواردة في الكتاب والسنة، المتعلقة بالإلهيات

---

[1] – انظر: سيد طنطاوي ، الوسيط في تفسير القرآن الكريم ، تفسير سورة المائدة .

[2] – ابن فارس، معجم . مقاييس اللغة : ج4 : 86.

[3] – نظر: الفيومي ، المصباح المنير : ج2 : 421 ،

[4] – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج19: ص 177.

والنبوات ، والسمعيات ، تصديقا جازما لا شك فيه . ([1]) .والتصديق الجازم في هذا التعريف ، لا يصح شرعا ؛ إلا باتباع سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، والله تعالى يقول : (.. **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...) (الحشر : 7)** فالآية أصل في وجوب العمل بالسنة قولا ، أو فعلا ، أو تقريرا. ([2]). والفساد العقدي ناجم عن انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة ، وهذا الانحراف له أسبابه التي ندعو إليه ، نلخصها في الاسباب التالية :كالكبر ، والتقليد الأعمى للآباء وغيرهم ، والجهل ، والحقد والحسد ، والغلو ، واتباع الدعوات الهدامة ؟ **وخلاصة القول:** كما يكون الفساد الديني بارتكاب المحرمات والفواحش، وترك الواجبات من صلاة وصيام وزكاة وحج، يكون كذلك باعتقاد الباطل والعمل به .

2 – الفساد الأخلاقي:

الأخلاق لغة :(جمع خُلُق، وهو السجية والطبع) ([3]) .

واصطلاحًا : هي حالة نفسية تترجَم بالأفعال؛ أي: إن الأخلاق لها جانبان؛ جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري ([4]) . فالسجايا هي الطباع، والسلوك هو الفعل المترجم إلى هذه الطباع. أو هو الخلل الذي يعتري الإنسان فيدعوه للتخلي عن كل شيمة حسنة، ويدفعه للتلبس بكل رذيلة سيئة ، وأكثر ما يدفع الإنسان إلى الفساد الخلقي هو عدم الالتزام بمبادىء الدين، وأحكام العقل، واتباع الهوى والشهوات ([5]) .

ومن صور المفاسد الأخلاقية ما نهى عنه سبحانه في قوله : **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ...)** (النحل : 90) وقد بين المصطفى – عليه الصلاة والسلام – أهمية الأخلاق في قوله : (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) ([6]) وقوله – صلى الله عليه وسلم – : (**أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويُؤلفون)** ([7]) ولعل من

---

[1] – انظر: سعد عبد الله عاشور التبيان شرح أركان الايمان : ج5/1.

[2] – انظر : عبد الله التركي وآخرون ، التفسير الميسر ، ص 546. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف .

[3] – اظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، مادة: خلق

[4] – علم الأخلاق الإسلامية؛ أ د. مقداد يلجن، بيروت ص 34.

[5] – انظر : الماوردي علي بن محمد، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق : ص14

[6] – وفي رواية : صالح الأخلاق . والراوي أبو هريرة ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ..

[7] – رواه الطبراني في "الأوسط" (7697) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

أهم عوامل الفساد الخلقي ضعف الوازع الديني ، وتراجع الدور الرقابي للأسرة ، والدور التربوي للمدارس والجامعات . وتهاون العلماءوأهل الرأي في إفشاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعامل الأخلاق له تأثير في قيام الحضارة أو اندحارها، وقد أشار العلامة ابن خلدون([1]) إلى أن السلوك الأخلاقي المنحرف هو طريق الانهيار الحضاري، وذكر أن رقي الأمم لا يتحقق بتوافر القوة المادية، أو رقي العقل، بل بتوافر الأخلاق الحسنة. والتاريخ أكبر شاهد على أن تدهور الأخلاق كان له دور كبير في سقوط الحضارات، وأقرب مثال لنا هو ضياع الأندلس ([2]) . والمسلمون تخلَّفوا عندما نسوا خُلُق الإسلام، واختزلوا دينهم في الشعائر فقط، وفرَّطوا في جانب مهمٍ من رسالة الإسلام، ألا وهي الأخلاق التي هي جزء مهمٌ من العبادة التعامليَّة ، التي كانت سببًا في فتح أقطار مهمَّة من العالم، فقط عن طريق التجار الذين تميَّزوا بالأخلاق الحميدة في معاملاتهم، وما سقطنا إلا عندما سقطنا في مستنقع المنكر. ([3]) . وبقدر ما تسمو أخلاق الأمة تعلو حضارتها، وتجذب الأنظار إليها.

3 – الفساد الإداري:

هو استغلال الوظيفة العامة ونفوذها ، لتحقيق مكاسب شخصية ، مادية أو معنوية ، بشكل يتعارض مع القوانين ، سواء أتم ذلك بشكل فردي أو جماعي . **أو هو** : مجموع الانحرافات الادارية ، والمخالفات التي تصدر عن الموظف أثناء تأديته لمهام وظيفته ، وعلى رأسها إساءة استعمال السلطة ، كقبول الرشوة لتسهيل عقد ، أو لإرساء مناقصة عامة. كما يمكن للفساد أن يحدث عن طريق استغلال الوظيفة العامة ، وذلك بتعيين الأقارب غير الأكفاء ، أو سرقة أموال الدولة مباشرةً .([4])

أنواع الفساد الاداري : ينقسم الفساد الاداري إلى لمجموعات التالية :

1– **الانحرافات المالية** : وتشمل مخالفة القواعد والأحكام المالية المنصوص عليها بالقوانين واللوائح المعول بها ، أوالاسراف في استخدام المال العام ، أو ارتكاب إهمال أو تقصير يترتب عليه ضياع أو احتمال ضياع حق مالي للدولة أو لصاحب العمل .

---

[1] – انظر : الزركلي ، الاعلام ، ج3: ص 330 .

[2] – انظر : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي : 2 : 446.

[3] – شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص 122.

[4] – انظر : د. لؤي أديب العيسى ، الفساد الاداري والبطالة . ص 84.

2- الانحرافات التنظيمية : وتشمل المخالفات التي يرتكبها الموظف ، وتتصل مباشرة بالعمل الذي يقوم به ، مثل : عدم أداء العمل بدقة وأمانة . أو عدم الالتزام بمواعيد العمل ، أوإفشاء أسرار العمل ، أوعدم التعاون مع زملاء العمل . أو القيام بأي عمل من شأنه الإضرار بالواجب الوظيفي .

3- **انحرافات جنائية :** وتشمل المخالفات التي يرتكبها الموظف وتنطوي على جرائم جنائية ، كالرشوة ، والاختلاس ، والتزوير ، والسرقة ، أو ممارسة التجارة في المحرمات كالمخدرات ، وكل تجارة ينتج عنها غسيل أموال . ([1])

4 - الفساد الأمني :

الأمن لغة: الأمان، والأمانة بمعنى. وهو: ضد الخوف.وهو الشعور بالسكينة والطمأنينة . والمراد به: سكون القلب . والأمانة : ضد الخيانة ، والايمان : ضد الكفر ، والايمان بمعنى التصديق . وفي التنزيل العزيز: (**الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**)(قريش: 4) . وفي الحديث النبوي الشريف، قال – عليه الصلاة والسلام – : (...**وتقع الأمنة في الأرض**).([2]) ، يريد أن الأرض تمتلىء بالأمن ، فلا يخاف أحد من الناس والحيوان .([3]) فكأن المراد بالأمن لغة : سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه، أوتوقعه.

والأمن اصطلاحا : الحال التي يكون فيها الانسان مطمئنا في نفسه، مستقرا في وطنه، سالما من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله . ([4])

والفساد الأمني هو : الخلل الذي يطرأ على المجتمع بداية من الأسرة ، وانتهاء بالدولة، فنرى التفكك ، والأثرة ، والأنانية تعم أفراد هذا المجتمع، ومن ثم تسود بين أفراده الشحناء والبغضاء، والحقد والحسد ، ويكيد

---

[1] – انظر : د. هنان مليكة ، جرائم الفساد ، الرشوة والاختلاس . وتكسب الموظف الام من وظيفته في الفقه الاسلامي ، ص 66. . ود. محمود محمد معابرة ، الفساد الاداري وعلاجه في الشريعة الاسلامية ، دراسة مقارنة مع القانون الاداري ، ص 126.

[2] – أخرجه الامام أحمد في مسنده ، من حديث أبي هريرة ، 15: 398. برقم : 9632.

[3] – انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري : ج6: ص 93. ولسان العرب : 13: 12.

[4] – حسين عبد الدليمي : دور الإعلام في تعزيز الأمن الفكري ،. مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاسلامية ، مجلد6 : ص 335-336.

بعضهم للبعض الآخر . مما يؤدي في بعض الأحيان إلى سفك الدماء ، وانتشار الجرائم المختلفة. والأمن من أجلِّ النعم، ومن فقد الأمن لا يستمتع بسائر النعم ، يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : **(من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)** ([1]) فقدَّم الأمن على الصحة والرزق .

والأمن معنى شامل ينتظم كثيراً من جوانب الحياة الإنسانية؛ الفكرية والنفسية والصحية، والاقتصادية والاجتماعية. . به دعا إبراهيم – عليه السلام – ربه فقال: **(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ)**(البقرة: 126) فقدم الأمن على الرزق لأولويته، ومسيس الحاجة إليه. وامتن الله على أهل مكة بنعمة الأمن فقال: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ)** (العنكبوت: 67) . وفي ظلال الأمان تستقر الحياة، ويأمن الناس على دينهم ، وأنفسهم وأعراضهم ، وأموالهم. والأمن أساس ازدهار الحضارات، وتقدم الأمم ، ورقي المجتمعات. الأمن من أهم الضرورات الإنسانية، وأكبر المقاصد الشرعية ، قال – صلى الله عليه وسلم – : **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دينهم وأموالهم)** ([2]) ويحرم في الإسلام أن يروع المسلم غيره بأي وسيلة كانت، جداً أو هزلاً، ففي الحديث: **(لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)** ([3]) والإسلام في عظمته وسموه، يحفظ الأمن لجميع الناس، مسلمين وغير مسلمين، بل للكائنات الحية ، يقول تعالى : **(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** (الممتحنة: 8) . **يذكر المؤرخون** أن حمامة باضت في فسطاط عمرو بن العاص – رضي الله عنه – ، والي مصر آنذاك، فلما عزم على الرحيل، أمر عماله أن يخلعوا الفسطاط، فلفت أنظارهم عش حمامة فيه بيض لم يفرخ بعد، فلم يزعجوا الحمامة، وعرضوا الأمر على عمرو فقال: **(لا تزعجوا طائراً نزل بجوارنا، وحلَّ آمناً في رحالنا، أجّلوا العمل حتى تفرخ وتطير).**([4])

---

[1] – رواه البخاري في "الأدب المفرد" (رقم/300) والترمذي في "السنن" (2346) وقال : حسن غريب.
وقال الألباني : الحديث حسن انظر : السلسلة الصحيحة رقم : 2318.

[2] – انظر : سنن النسائي، ج8 ص105.

[3] – رواه أبو داود : رقم: 5004

[4] – انظر : د. جمال الدين الشيال ، مجلة الرسالة/العدد 640 – الفسطاط– بتاريخ: 08 – 10 – 1945

5 – الفساد المالي :

شهدت السنوات القليلة الماضية اهتماما من طرف الباحثين ، وأصحاب القرار السياسي ، والمنظمات الدولية بظاهرة الفساد ، ولعل أبرز هذه المنظمات : (**منظمة الشفافية الدولية**)([1]) من خلال إطلاقها لمؤشر مدركات الفساد ، ([2])ومن خلال تقريرها الصادر مؤخرا ، حيث يبين أن ثلث الفساد المالي مركزه الوطن العربي ، ونصفه في العالم الاسلامي ؟! والفساد المقصود في هذا التقرير ينحصر في سوء استعمال الوظيفة في القطاع العام ، لتحقيق مكاسب شخصية ؟! ([3]) من خلال الرشوة ، والإهمال الوظيفي، والاحتيال، والاختلاس، والتزوير، وغسيل الأموال، والاستيلاء على المال العام، والغش، والتدليس ، والإهدار للمال العام ،والتهرب الضريبي، وغير ذلك ([4]) والمال هو عصب الحياة ، وقد عني الإسلام بتنظيم علاقات البشر المالية ، قال تعالى : (.....**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**.....**الآية**) (البقرة: 275) ، وقال سبحانه : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** .....) (البقرة : 282) ، والذي أمر الله بكتابته كما يقول **ابن كثير** في تفسيره للآية : إنما هو أشياء جزئية تقع بين الناس، فأمروا أمر إرشاد ، لا أمر إيجاب، كما ذهب إليه بعضهم . والمعاملات الاقتصادية من بيع وشراء ، وإجارة ومضاربة ، وما شابه ذلك من أنواع التعامل المالي التي هي عقود بين طرفين، إذا سادها جو الصدق والأمانة ، وعدم التجاوز على حقوق الآخرين، والتزم كل طرف بما يقتضيه العقد، فإن التعامل الاقتصادي والتجاري سوف يكون ناشطاً وفاعلاً ، وبعيداً عن الخداع والاعتداء ، والغبن ، والتدليس، مما يعود على السوق والعاملين فيه ، بمزيد من الأموال والرخاء ، وينعكس ذلك أثراً فاعلاً على شيوع قيم الثقة والصدق في المجتمع، مقابل قيم الجشع ، والظلم والاعتداء، والغش، التي تؤدي إلى زعزعة الروابط الاجتماعية ، وتماسك المجتمع، ويهدد استقراره، مما يعدُّ من أوضح صور الفساد في الأرض .

---

[1] – يمكن الوقوف على تقرير منظمة الشفافية العالمية على الموقع الاليكتروني التالي :
(http://www.transparency.org)

[2] – هذا المؤشر يساعد على عقد مقارنات بين البلدان ، وتحليل الفساد والأداء الاقتصادي الذي يجب الوصول إليه ، وهو يعتبر مقياسا لتقدير حجم الفساد في المجتمع .

[3] – هاشم الشمري وزميله ، **الفساد الإداري والمالي**، ص27

[4] – طه فارس، **أسس مكافحة الفساد الإداري والمالي في ضوء السنة النبوية**، ص9. مدونة الألوكة .

6 : – الفساد البيئي :

تعني البيئة في التصور الاسلامي : جملة الاشياء التي تحيط بالإنسان, بدءاً من الارض التي تُقله ، وصعودا الى السماء التي تظله ، وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلفة ، وهي المكان الذي نعيش فيه ، وعاش فيه آباؤنا وأجدادنا ، وسيعيش فسه أبناؤنا وأحفادنا والأجيال القادمة . وهي أمانة بأيدينا لنحميها ، ونعمل على سلامتها على كافة المستويات . وقد أصبحت قضايا البيئة تحتل المرتبة الاولى من اهتمام المجتمعات الحديثة، نظرا للدراسات التي تشير يوما بعد يوم الى علاقة مظاهر التلوث البيئي بظهور الأمراض عند الانسان، وتدهور حياة الأحياء البحرية والبرية على كوكب الارض، والإفساد في مكونات البيئة يختلف من عنصر إلى آخر ، فمنه ما يتعرض للإتلاف والتدمير، ومنه ما يتعرض للتلوث، ومنه ما يتعرض للهدر وتفويت المنافع، ومنه ما يتعرض للإسراف في استهلاكه ، وكلها عموما تدور حول ماهية الفساد والإفساد في الأرض الذي نهى الله . وإذا كانت البيئة مسخرة للإنسان بإرادة العلي القدير؛ فإنها في الوقت نفسه مخلوق من مخلوقات الله ، فلا ينبغي للإنسان – وهو مستخلف في الأرض – أن يكون له أي حق في الإضرار بها، أو تعطيلها عن أداء وظيفتها التي خلقت لها ، فمن المبادىء العامة في الشريعة الإسلامية أن (**لا ضرر ولا ضرار**) ([1]) ، فالإنسان بإقدامه على الإضرار بها ، فإنها لا محالة سترجع عليه بالضرر ، إن حماية البيئة من المصالح التي تعود بالنفع على عموم المجتمع ، وإذا ما اختل النظام والتوازن البيئي، واستنزفت الموارد الطبيعية ، وتلوث الجو ، فإن المجتمع بأسره سيعود عليه هذا الاختلال بالدمار والهلاك؛ في صحته، ومحيطه . لقد حافظ الإسلام على البيئة بالنهي عن الإضرار بها، كما في قوله تعالى: (**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**) (البقرة/205). فالغرض الاساس من المحافظة على البيئة هو لمصلحة الانسان ، وسعادته ، ورفاهيته في هذه الدنيا . والحديث عن البيئة حديث متشعب وواسع ، ذلك أنه عند التطرق لمصطلح البيئة نكون أمام منظومة شاملة متعددة العناصر والمكونات، مختلفة التعريفات من مجال لآخر، وهذا التشعب والتعدد دليل على أهمية **مصطلح البيئة** .

أ – المفهوم اللغوي للبيئة :

إن الحديث عن مفهوم البيئة اللغوي ، يستلزم الوقوف عند الجذر اللغوي (**بوأ**) والذي أُخذ منه الفعل

[1] – رواه مالك في **الموطأ**، كتاب الأقضية، رقم:33، ، ص 651.

الماضي (باء) و(أباء) فكان الاسم (البيئة) . وقد ورد في لسان العرب : **بوأ** ، **باء** إلى الشيء يبوء بوءاً: رجع. وباء بذنبه وإثمه : احتمله ، وصار المذنب مأوى الذنب . وأبأت المكان : أقمت به ، وبوأتك بيتا: اتخذت لك بيتا.. . إن التعريف اللغوي للجذر **(بوأ)** في لسان العرب ، وما نتج عنه من اشتقاقات تحدد عبر مفاهيم عدة ، **من أهمها** :

1 – مفهوم الرجوع والعودة في قول ابن منظور: باء إلى الشيء. رجع .

2– مفهوم النزول والإقامة: أبأت بالمكان ، ُ أقمت به .

3 – مفهوم إصلاح المكان وتهيئته للمبيت أو السكنى: تبوأه. أصلحه وهيأه.

4 – مفهوم حسن الحال: إنه لحسن البيئة .

إن المفاهيم الأربعة المذكورة في اللسان، تجتمع على معنى واحد ، وهو الارتباط بالمكان ، سواء من حيث الرجوع إليه ، أو النزول فيه ، أو إصلاحه ، والمكان بالطبع يستلزم عناصر مكونة له ، من أهمها الإنسان الذي يقوم بفعل الرجوع أو ، النزول ، أو الاصلاح . ([1]).

وقد ورد أيضا الجذر اللغوي **(بوأ)** في القرآن الكريم، والسنة الشريفة ، نذكر منها : قوله سبحانه : (**والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ..)** (الحشر: 9) أي الذين سكنوا في المدينة قبل هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إليها ، واستقرت قلوبهم على الايمان بالله ([2]) . وقال سبحانه: **(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ..)** (الأعراف : 74) ، أي : أسكنكم وأنزلكم منزلا رفيعا . وتشترك معاني **(بوأ)** في الآيات الكريمة **في صفة النزول والإقامة** .

أما معنى الرجوع : فنجده مثلا في قوله سبحانه : (**إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصحَابِ النَّارِ ....)** (المائدة : 29) بمعنى " ترجع بإثم قتلي . وفي قوله تعالى : (... **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ...)** (آل عمران : 112) أي : رجعوا متلبسين به . ووردت المعاني نفسها المعروفة للجذر (بوأ) **في الحديث الشريف** ، إذ يقول الرسول – صلى اللهَ عليه وسلم – : (**... من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.)** ([3]) ، أي ينزل منزله من النار . ويقول – عليه

---

[1] – انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج3: ص 267–269 . باختصار

[2] – انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة 314/1 .

[3] – رواه البخاري رقم : 1229 .ج2: ص 80 .

الصلاة والسلام : – **(يامعشر الشباب ، عليكم بالباءة ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم ، فإن الصوم وجاء)**([1]) والأصل في الباءة المنزل ، ثم قيل لعقد الزواج باءة ، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا. ومن هذا العرض اللغوي يتضح أن البيئة تطلق على : المنزل ، الموطن ، المكان الذي يتخذه الانسان مستقرا لنزوله وحلوله ، أي : يرجع إليه فيتخذ فيه منزله . ([2])

ب – المفهوم الاصطلاحي للبيئة :

كان للمفاهيم البيئية حضور واسع في الإسلام، وإن لم يكن بالمصطلح نفسه بلفظ (البيئة)، إذ كان هناك مصطلح مرادف ورد في القرآن (في 199، آية وفي سور مختلفة) ليدل على مفهوم أماكن معيشة الإنسان ، وبقية الكائنات ، وطبيعة العلاقات التي يجب أن تكون على وجه من التوازن، وهذا المصطلح هو الأرض ، باعتبارها موئل الإنسان ، وموطنه ، ومستقره ، ومجاله الحيوي الذي يعيش فيه . ([3]) .
ومن بين الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح ، نورد على سبيل التمثيل قوله تعالى : **(ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون)** (الأعراف: 10) . وقوله عز وجل : **(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ...)** (هود: 61) . وقد استخدم علماء المسلمين كلمة **(البيئة)** استخداماً اصطلاحياً منذ القرن الثالث الهجري ، وكان **(ابن عبد ربه الأندلسي)**([4]) أول من طرح المعنى المفاهيمي للبيئة في كتابه العقد الفريد ، في كتاب **(الجمانة)** ، للإشـارة إلى الوسط الطبيعي (الجغرافي والمكاني) الذي يعيش فيه الكائن الحي ، بما في ذلك الإنسان ، وللإشارة إلى المناخ الاجتماعي (السياسي والأخلاقي والفكري) المحيط بالإنسان .([5]) كما كان لعلماء العرب وأدبائها اهتمام واسع بعناصر البيئة ، فبحثوا فيها مطولا ، وقدموا معلومات قيمة ، ومفاهيم بيئية متنوعة، مثل

---

[1] – سنن الترمذي : حديث رقم : 2798. وصحيح البخاري ج7، حديث رقم : 5064.

[2] – انظر محمد حسن حسن جبل : المعجم الاصطلاحي لألفاظ القرآن ، المجلد الثالث : ص 60–63.

[3] – ياسين عبد الله المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، الأردن،ص: 22 .

[4] – **أحمد بن محمد بن عبد ربه** ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1: 110 .

[5] – انظر رجاء وحيد دويدري: البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ص . 25 وانظر رشاد أحمد عبد اللطيف: البيئة والإنسان من منظور اجتماعي، ص 84. البيئة ، مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، م / محمد عبد القادر الفقي صـ 13 ، وقضايا البيئة من منظور إسلامي د. أحمد عبد الرحيم السايح .

كُتب **الأصمعي** ([1]) التي تناول فيها بالتفصيل أهم الحيوانات في البيئة العربية. و**الجاحظ** ([2]) . الذي اعتنى بالحيوانات وخصائصها في كتابه الحيوان . ويعد **المجريطي** ([3]) أول من وضع كتاباً أبرز في عنوانه كلمة البيئة ، وذلك من خلال كتابه الموسوم بـ (الطبيعيات و تأثير النشأة **والبيئة** على الكائنات الحية) . أما حديثا فإننا نجد تداخلا وتناقضا في تناول مفهوم البيئة اصطلاحا، ويعود ذلك إلى الترجمة التي ما فتئت تصنع أزمة مصطلحات ومفاهيم في منظومتنا المعرفية ، إذ ينبه **ياسين عبد الله المنزلاوي** إلى الخلط الذي نتج عن ترجمة(environment و Ecology) إلى اللغة العربية ، فيقول: (ولقد درجنا في اللغة العربية على إطلاق اسم علم البيئة على التسمية ecology ، فاختلط بذلك الأمر مع مفهوم البيئة بمعنى environment ،وأصبح عالم الإيكولوجي (ecologist) وعالم البيئة (environmentalist) كأنهما تسميتانِ مترادفتان لمجال عمل واحد ، ويقدم تعريفا مناسبا لكلا المصطلحين ، فيؤكد أن عالم الايكولوجي يعنى بدراسة وتركيب وظيفة الطبيعة ، أي بما يحدد الحياة ، وكيفية استخدام الكائنات للعناصر المتاحة . أما علم البيئة فيعنى بدراسة التفاعل بين الحياة والبيئة) ([4]) ويعرف **إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي** البيئة على أنها المكان الذي يعيش فيه الإنسان ، وتتكون من التربة والماء والهواء والبشر ، وهي تعني أيضا كل العناصر الطبيعية والحياتية التي تتواجد حول سطح الكرة لأرضية وعليها . ([5]) .

وتعرفها **سوزان أحمد أبو رية** على أنها الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر ([6]) .

وترى **رجاء وحيد دويدري** أن مصطلح البيئة يشمل عناصر البيئة من ماء وهواء وتربة ونبات وحيوان ، وعلاقة كل ذلك بالإنسان، وترى أن مفهوم البيئة كان نتيجة تضافر مجموعة علوم بيئية ، درست العو امل المؤثرة في المحيط الحيوي، وأن الأيكولوجيا هي أحد العلوم التي تشكل أساس العلوم البيئية ، بجانب العلوم

---

[1] – **عبد الملك بن قريب أصمع الباهلي** (تـ 216 هـ) راوية العرب . له كتب كثيرة منها : الإبل – الأنواء – الخيل – الدارات – مياة العرب– النبات والشجر – وغيرها انظر : الذهبي : .سير أعلام النبلاء–ج10– صفحة 179 .

[2] - **الجاحظ** هو **أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي الكناني البصري**.انظر : **سير أعلام النبلاء ، ج11/ 527.**

[3] – – **أبوالقاسم مسلمة بن أحمد المجريطي** أحد علماء الرياضيات والكيمياء والفلك في الأندلس والمغرب العربي .ولد بمدينة مجريط (تعرف اليوم بمدريد تـ 397 هـ) .انظر : د. صبري الدمرداش: قطوف من سير العلماء، ج 3/79– 80

[4] – انظر : ياسين عبد الله المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، ص 21.

[5] – إسماعيل عبد الفتاح الكافي: المفاهيم والمصطلحات البيئية، قاموس ، مصر، ص . 37.

[6] – سوزان أحمد أبو رية: الإنسان والبيئة والمجتمع، ص . 16

الطبيعية والإنسانية .) ([1]) . إن **مفهوم البيئة** تضافرت في تشكيله كثير من العلوم بعضها علمي ، وبعضها إنساني ، ولكل علم مفهومه الخاص للبيئة بما يناسبُ َ طبيعته.

من التشريعات الإسلامية لتحقيق الأمن البيئي :

تحتل البيئة في عصرنا الحاضر، مكانة لا تكاد تُدانيها مكانة، من حيث تأثيرها على صحة الفرد والمجتمع، وقد واجهت البشرية **قضايا البيئة** في أخريات القرن الماضي ، **وأصبح التلوث البيئي** هاجساً لجميع الأمم المتقدمة وغيرها، ويُجمع المختصون أن السلوك البشري يعتبر من أول مهددات البيئة بالتلوث. ولعلنا نجد الإشارة لهذا في قوله تعالى: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** (الروم: 41) . **وفساد البرّ:** خَرابُه، وقلَّة نباته، وقلة أمطاره، وكثرة الحشرات والزواحف المؤذية فيه، وكثرة الحرائق والمضار المختلفة . **أمَّا فساد البحر:** فبكثرة الرياح العاصفة، وطغيان الماء بالقيضانات المرعبة (تسونامي) ، وتلوث مياهه، وانقطاع الصيد، وكلا الفسادين بشؤم ما كسبت أيدي الناس من المعاصي والذنوب ([2]) ([3]) . وفيما يلي نستعرض بعض تشريعات الاسلام لتحقيق **الأمن البيئي** لمكونات البيئة التي تشمل كلا من: **الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والأرض ، والماء** . وقد جعل الاسلام رعاية البيئة والمحافظة عليها ، جزءاً من عقيدة المسلم ، وإيمانه بربه ، وجعل الإخلال بها أو إفسادها خروجا عن مقتضى هذا الإيمان .

---

[1] – رجاء وحيد دويدري: البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ص . 27

[2] – انظر: تفسير المحرر الوجيز 4: 394، وانظر : عبد الرحمن حسن حبنكّة. معارج التفكر ودقائق التدبر، مجلد: 15 ، ص 167–169

[3] –. كان استاذنا الدكتور الشيخ فتح الله بن بدران – رحمه الله – استاذ العقيدة في كلية أصول الدين بالأزهر يستشهد بهذه الآية على الإعجاز العلمي في القرآن ويرى بأن هذه الآية تشير إلى التفجيرات النووية بطرف خفي التي أفسدت البر والبحر في نجازاكي وهيروشيما بالإشعاعات الناجمة عن التفجيرات ، فأصبح البر غير صالح لنمو النبات أو ملوثا بالإشعاعات الضارة ، وأصبحت أسماك البحر التي تعرضت لإشعاعات التفجير غير صالحة للإستهلاك .. بما كسبت أيدي الناس .. واقترفته .. ؟! وانظر : عبد الرحمن حسن حبنكّة. معارج التفكر ودقائق التدبر، مجلد: 15 ، ص 167–169.

1 – تحقيق الأمن البيئي ([1]) للإنسان :

دعى الإسلام إلى حماية الإنسان وما يتعلق به، وتتجلى هذه الدعوة في مقاصد الشريعة ، وقد دأب العلماء المسلمون على حَصْر مقاصد الشريعة الكلية في خمس هي: **حفظ الدين، والنفس ، والعقل، والنسل والمال** . وقد تم النص فى كثير من الآيات على **حفظ النفس**، كقوله تعالى : **(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ....**)(الإنعام: 151) وقوله تعالى : **(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)** ("التكوير: 8–9) . كما يدخل فى نطاق الحفاظ على النفس ، إشباع حاجاتها الأساسية على أساس من الإعتدال، وإبعادها عن الفحشاء والمنكر والبغى. وكذلك الأمر بالنسبة **لحفظ النسل**، ليس من باب عدم اختلاط الأنساب فحسب ، وإنما حفظه من أنواع التلوث التي تؤدي إلى العُقم، أو الاجهاض، أو التشوهات الخلقية، أو الأمراض المزمنة. وقد بين الإسلام حرمة الإنسان، قال تعالى : **(.....مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَّاسَ جَمِيعًا...)** (المائدة : 32) ولعل الحروب هي مكمن الخطر على حياة الإنسان، ولهذا **فالسلام في الإسلام هو القاعدة، والحرب هي الإستثناء**، وهي للضرورة القصوى دفاعا عن المسلمين ، أو عن حرية مسار الدعوة، وتكون بعد استنفاذ كافة السبل الدبلوماسية، ووسائل الضغط السياسي، والمقاطعة الإقتصادية، والمقاومة اللاعنفية، فإذا لم يكن من الحرب بُدّ، فلا بد إذا من التمسك بآدابها : **(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)**(البقرة : 190) ووصايا الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخلفائه الراشدين – رضي الله عنهم – تُعد من وصايا الأحياء للأحياء ، وهي أدب ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وتحذير من زَلَل ، وتبصرةٌ بصالحِ عمل ..

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه بتقوى الله ، **ثم يقول : (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا فلا تَغلُّوا ، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا)**([2]) **وبهذه اللاءات الثلاث:لا تغدروا،لا تمثلوا،لا تقتلوا وليدا** ، وضع – صلى الله عليه وسلم – القواعد الأخلاقية الإنسانية التي التزم بها الخلفاء الراشدون – رضي الله

---

[1] – ظهر هذا المصطلح (الأمن البيئي) بعد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية **بريو دي جانيرو** عام 1992م، "وهو مصطلح جديد يدور حول محتواه الكثير من الجدل، ويتضمن البيئة والأمن، والعنف والحروب كمسببة للدمار البيئي" انظر : عالم الفكر، المجلد 30، العدد 1، ص 280.

[2] – عبد الحميد شاكر، وصايا الرسول والخلفاء الراشدين ، ص46.

عنهم – في إدارة معارك الفتح بكل اقتدار، رغم البعد الجغرافي بين عاصمة الخلافة وميادين المعارك ، معتمدين على قادة أكفاء ، قادوا الجيوش وخاضوا غمار المعارك، نجد ذلك في وصية **أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان** – رضي الله عنهما – ، حينما بعثه على رأس جيس إلى الشام، قال: (... **وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تُخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ، ولا بعيراً إلا لمأكله، ولا تغرقن نخلا، ولا تحرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن**) ([1]) وبمثل ذلك أوصى **زحف أسامة** – رضي الله عته– ، ([2]) فهذه الوصايا، تدل على أن من لا علاقة له بالحرب، فليس للمسلمين أن يُؤذوه ، سواء أكان إنسانا ، أم حيوانا ، أم نباتا ، أم جمادا . وبناء على هذا، فإن أسلحة **الدمار الشامل** كما تسمى اليوم ، ويدخل فيها **الأسلحة النووية، والكيماوية ، والبيولوجية،** تتنافى مع التصور الإسلامي للحروب ، فالإسلام لا يبيح الدمار الشامل لمخلوقات الله عز وجل. ولعل أقصى ما يمكن السماح به هو : وجود قوة لإرهاب أعداء الله ، وردعهم من الإعتداء على المسلمين . وأصبح استخدام الأسلحة المحرمة دوليا، والأسلحة الجرثومية ، والكيميائية يثير سخط واستياء الناس في كل مكان. إن كثيرا من حوادث الصراع في العالم، والتي تؤدي إلى انتهاك حرمة الإنسان، مردها إلى الأفكار اللاإنسانية ، كادعاء التفوق العرقي لجنس معين، أو الاختلاف الطائفي ، أو أي استعلاء لا يقبل بالآخر . إن المبادىء الإسلامية لا تسمح بمثل هذه المفاضلة على صعيد الفكرة، ناهيك عن إخراجها إلى حيز التنفيذ. إن الإسلام يرى في اختلاف ألوان البشر، وبالتالي أشكالهم ، وصفاتهم الجسمية، آيات تدل على الخالق سبحانه: **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**) (الروم: 22) وإختلاف ألوان الناس في هذا الباب، كإختلاف ألوان الجمادات والنباتات والحيوانات، والله سبحانه وتعالى يريد لنا أن يعرف بعضنا بعضا، وأن نحيي **أنموذج (لتعارفوا)** في العلاقات بين الشعوب والحضارات ، والدعوة إلى الحوار والتبادل الثقافي ، والإنتفاع بما هو خير عند الجميع وللجميع ، وهذا الأنموذج هو ضد أطروحة **صامويل هانتنجتون** ([3]) حول **صراع الحضارات.**

---

[1] – رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، رقم: 995 ، وانظر : عبد الحميد شاكر :وصايا الرسول والخلفاء الراشدين، ، ص59.

[2] – انظر : محمود شريف بسيوني ، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة ، 2003. وقد نشرت هذه الوثيقة بتصريح من المعهد الدولي لحقوق الإنسان بجامعة دى بول شيكاغو. وانظر : ابن قدامة : المغني ، 10: 506.

[3] – مفكر سياسي أميركي، وأستاذ بجامعة هارفارد لأكثر من خمسين عاما، اشتهر بتنظيره لفكرة "صراع الحضارات" التي أثارت جدلا فكريا وسياسيا على مستوى العالم.. انظر : موسوعة الجزيرة .. فضاء من المعرفة الرقمية .

والأنموذج الإسلامي حول **حوار الحضارات** أنفع للبشرية، وأحفظ للبيئة ، إذ يبقيها بعيدا عن دائرة الصراع. ومن هذا المنطلق ينفرد الإسلام بموقفه تجاه الغير ، الذي يعزّز عاطفة المحبّة والمودّة بين بني البشر ، ويُعلي من شأن الإنسان.

2 - تحقيق الأمن البيئي للحيوان :

حرص الإسلام على الرفق بالحيوان ، فحض المسلم على رعايته وحسن معاملته ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **(بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ،فنزل البئر فملأ خُفَّه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب فشكر الله له ، فغفر له . قالوا يا رسول الله : وإن لنا في البهائم أجراً ، فقال : في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجر)** ([1]) وفي دائرة ما يُذبح للأكل، حث الشارع على استخدام أداة حادة حتى لا تتعذب الذبيحة، فعن شداد بن أوس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: **(: إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته)** ([2]) وحماية الإسلام للحيوان تتعدى إلى صيده ، فهو وإن كان في الأصل مُباحاً، فقد يصل صيده أحيانا إلى درجة التحريم بإعتبار الظرف المحيط به. فعلى الإنسان أن يراعي في قضية الصيد الحاجة، وأدوات الصيد ، والمواسم التي يصطاد فيها! **أما المواسم :** فيراعي فيها عدم الصيد خلال فترات التكاثر والتفريخ ، فإذا اصطيدت الأم ماتت صغارها من عدم الرعاية، وأما إذا أخذت الصغار أثَّر ذلك على استمرارية هذا النوع. وأما **صبر الحيوان** ورميه فحرام . **فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – ، أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا، أو دجاجة يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا! إن الرسول – صلى الله عليه وسلم– لعن من إتخذ شيئا فيه الروح غَرَضاً.**([3]) **وأما قتل الحيوان إفساداً**، فمما لا شك فيه أنه حرام ، وعاقبته وخيمة ، فعن إبن عمر، قال : قال رسول الله – صلى

---

[1] – رواه البخاري ، كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، 2: 833.

[2] – صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، حديث رقم : 1955. وانظر : ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم ، ج1: ص 379.

[3] – معنى " **الصبر** " أي : تُحبس لتُرمى وتُتخذ هدفا .انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (13 / 108). والزبيدي ، تاج العروس : 18: 451.

الله عليه وسلم–: (**عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**) ([1]). وكذلك فقد نهى الإسلام عن دفع الحيوانات للإقتتال بقصد التمتع بمشاهدتها ، مثل : التحريش بين الكلاب ، وبين الكِباش، وبين الديكة، ولقد نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن التحريش بين البهائم. ([2]) وهذا التحريش يستخدم في المراهنات ، وهو نوع من أنواع القمار والإفساد . ويقاس على هذا الإفساد ما يسمى **بمصارعة الثيران**، فأين الرياضة في تعذيب هذا الحيوان؟! وينبغي أن ننوه إلى أن رعاية الحيوان في الإسلام وإن كانت تشمل الغالبية العظمى من الحيوان، إلا أن بعضها قد استُثني من ذلك ، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: (**خمس من الدواب كلها فواسق تقتل في الحرم: الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والكلب العقور ، والفأرة**)([3]) . ولا يخفى أن في هذا الحديث حكمة بالغة ، ففي قتلها حفظ للبيئة ، **فالكلب العقور** قد يحمل داءَ الكَلَبْ وغيره من الأمراض، والفئران قد تشكل خطرا صحيا للأنسان ، وتهدد المحاصيل الزراعية..

3 – تحقيق الأمن البيئي للنباتات :

دعى الإسلام إلى حفظ النباتات والأشجار بأن نهى عن قطعها وعدم العبث بها ، وحث على غرسها لما في ذلك من الأجر . فقد أوصى **أبوبكر الصديق –** رضي الله عنه – جيوشه الزاحفة عن قطع أشجار الأعداء ، كأدب من آداب الحرب، فكيف بنا نجوز قطعها في السلم ؟! . بل حض الإسلام على غرس الأشجار ، واعتبر غرسها باباً من أبواب الأجر . فعن جابر – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: **(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إِلاَّ كانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْه لَه صدقَةً، وَلاَ يرْزؤه أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً**) ([4]). وفي هذا حث على التشجير ومحاربة التصحر، وتشجيع الزراعة بما يزيد الثروة النباتية . وقد **أنشأ النبي – صلى الله عليه وسلم – محميات بيئية،** فحمى أرض مكة والمدينة ، حرم فيهما التعدي على النبات والحيوان ، إلا ما تم استثناؤه ، عن ابن عباس– رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة : (**إن هذا البلد حرمه الله لا يُعضد شوكه ، ولا يُنَفَّرُ صيده ، ولا يَلتقِطُ لُقَطته إلا من عَرَّفها ..وقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر لصناعتنا وقبورنا**

---

[1] – رواه البخاري، كتاب بدء الخلق ، صحيح البخاري : 3: 1205 .

[2] – أخرجه أبو يعلى التميمي في مسنده 4/ 389،برقم 2509.

[3] – رواه البخاري ، صحيح البخاري : 2: 649.

[4] – متفق عليه ، رواه البخاري ، صحيح البخاري2: 817.

، **فقال : إلا الإذخر**) ([1]) .وسئل أنس – رضي الله عنه – أحرَّمَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **المدينة ، قال : نعم . هي حرام لا يُختلى خلاها ، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**) ([2]) ولا يخفى ما للتشجير والخضرة من آثار هامة في حفظ **التوازن البيئي** ، وتوفير المناخ الملائم للحياة ، حيث تقوم النباتات بعملية التمثيل الضوئي ، فتوفر الأكسجين اللازم لتنفس الإنسان والحيوان ، وتُخلص البيئة من ثانى أكسيد الكربون الضار بهما ، فتأمل الإعجاز فى ذلك !

وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يرغب أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات، وحمايتها والمحافظة عليها ، ومن أحاديث الرسول في هذا المجال: (**إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**)([3]) **كما** منع إلحاق الأذى والضرر بعناصر البيئة ، ومن ذلك قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – (**من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار**) ([4])

والمراد بالسدرة شجرة السدر المعروفة، وهي تنبت في الصحاري، وتصبر على العطش، وتقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلالها، والأكل من ثمارها اللذيذة ، إذا اجتازوا تلك الفيافي مسافرين، أو باحثين عن الكلأ والمرعى... والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدل على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية ، لما توفره من حفظ التوازن بين المخلوقات . .. وهذا وعيد شديد ، وتهديد أكيد بسبب قطع شجرة واحدة من السدر ، فكيف بمن يقطع عدة شجرات ، أوتعمد تلويث وتسميم المياه ، أو تلويث الهواء باستخدام المبيدات الحشرية ([5]) على نطاق واسع لقتل الحشرات ، أو التي تستخدم في الزراعة وكذلك الخضروات، وقد تظل هذه المبيدات عالقة بالتربة الزراعية فترة من الزمن ، بما يفضي إلى القضاء على الانسان ، والحيوان ، والنبات . وأحيانا تُضيف الشركات التي تقوم بتعليب الأطعمة مواد كيمياوية للطعام والشراب ، أو مواد حافظة ، من أجل إعطائه نكهة جيدة، أو لونا جيدا ، أو رائحة طيبة، بينما تثبت الدراسات الحديثة ضرر

---

[1] – محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، ج7: ص181.

[2] – صحيح مسلم ، ج4: ص 114.

[3] – رواه البخاري في الأدب المفرد ، ص 479. الهيثمي ، مجمع الزوائد : 4: 108.

[4] – الألباني ، صحيح سنن أبي داود : ج2: ص 782.

[5] – والمبيدات أقسام منها : المبيدات العشبية، والمبيدات الحشرية ، والمبيدات الكيمياوية. والأخطر من هذه المبيدات هي : المبيدات الكيمياوية فتسبب في قتل كثير من الاحياء الدقيقة التي تستوطن التربة, والتي تسهم في تحلل المواد العضوية والمخلفات النباتية التي ينتج عنها العناصر الحية المكونة للتربة الزراعية. انظر : السيد محمد الحسيني الشيرازي فقه البيئة : ص172

هذه المواد المضافة أكثر من نفعها.أما المواد الكيمياوية الحافظة، وهي المواد المستعملة في صناعة التعليب تكاد تكون أشد خطرا على الغذاء عندما تتجاوز الحد المطلوب. وفي الشريعة الإسلامية أحكام كثيرة تدل على كبير اهتمام بالزراعة والزرع، والحث عليهما؛ لما فيهما من نفع يعود على الإنسان ذاته، كالأحكام المتعلقة بالمزارعة ، والمساقاة ، وإحياء الموات؛ فهي من المسائل التي تبين مدى اهتمام الإسلام بعمارة الأرض بأسلوبي الزراعة ، وإحياء الموات، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **(من كانت له أرضا فليزرعها فإن لم يزرعها فليُزرِعها أخاه)** ([1]) ، وهو الأمر الذي جعل الصحابة – رضي الله عنهم – لم يتوانوا لحظة عن الاشتغال بالزراعة والحث عليها. وإن أحكام **إحياء الموات** لجديرة بالدراسة والبحث في أهميتها، ومعرفة الدور الذي تلعبه في توسيع المساحات الزراعية الخضراء، فإن الرسول – صلى الله عليه وسلم –عندما يقول (**من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها**) ([2]) ، يدل على أن الشرع رغّب في إحياء الموات ؛ لحاجة الناس إلى موارد الزراعة، وتعمير الكون، مما يحقق لهم رفاها اقتصاديا، ويوفر ثروة عامة كبرى ([3]) . وفي الدعوة إلى إحياء الموات إشارة إلى أن الإسلام دعا إلى عمارة الأرض وإصلاح فسادها، ولو أخذ الناس بمبدأ الإسلام في إحياء الموات، ونفذوا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : **(من أحيا أرضا ميتة فهي له)**([4]) ؛ لكثُرَ الزرع وانتشر العمران.

4 –، تحقيق الأمن البيئي في ترشيد استهلاك المياه :

إن ما في البيئة من ثروات ومتاع محدود ومعرض للنفاد ، فالإنسان مطالب بأن لا يسرف في استنزاف هذه الثروات ، قال تعالى : **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الآعراف : 31)** . كما نهى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الإسراف في استهلاك الماء، فقد مَرَّ **بِسَعْدٍ** وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ : **(مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟) قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ ؟ (قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ)** ([5]) . ولو كان ذلك في الطهارة، حتى لو كان المتوضىء على ضفة

---

[1] – رواه مسلم في الجامع الصحيح، بيروت ، ج3/ ص 19.

[2] – رواه البخاري في الصحيح، ج3/ ص 226.

[3]– وهبة الزحيلي، الملكية وتوابعها، ج2/ ص 59.

[4] – الامام أحمد بن حنبل ، مسند أبن حنبل ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ج2: ص 338.

[5] – روى الإمام أحمد برقم : 6768 قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ،وجاء في "الموسوعة الفقهية الكويتية (" 4 : 180) : "واتفقوا على أن الإسراف في استعمال الماء مكروه"

نهر جارٍ ، عليه أن لا يسرف في استهلاك الماء كذلك . والحفاظ على نظافة الأرض والمياه ليس من وظيفة الأفراد فقط، بل تقع ضمن مسؤولية الدولة أيضا، ففي الحديث عن أبي موسى، أنه قال حين قدم البصرة : (**بعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم وسنتكم وأنظف طرقكم. والحفاظ على المياه**) ([1])

لقد كانت مشيئة الله أن جعل في الماء حياة لمخلوقاته الحيوية، قال تعالى : (....**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**)(الأنبياء: 3). وهنالك عشرات الآيات التي نسب الله سبحانه فيها نزول ماء السماء إلى نفسه: كقوله سبحانه :(...**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ** ..)(إبراهيم : 32) . فهذه الآيات ومثيلاتها تدل على أهمية الماء وارتباط نزوله بمشيئة الله عز وجل ، وذلك مما يستوجب شكره والثناء عليه . . **كما نهى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن البول في الماء الراكد،** والتبرز في الطريق، أو في الظل ، أو موارد المياه. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **(لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه)** ([2]) وتشهد كثير من البلاد المتقدمة، وعدد غير قليل من الدول النامية ، عمليات تدوير وإعادة استخدام للمخلفات؛ بأنواعها الزجاجية، والورقية، والبلاستيكية، وما عدا هذه النفايات فإنه يتلف حرقا أو دفنا في أعماق الأرض ، وفي ذلك ما فيه من الأضرار . كذا الأمر بالنسبة **لمياه الصرف الصحي** التي يعاد تكريرها ومعالجتها لتستخدم من جديد في مجال سقي بعض المزروعات ، فمثل هذه العمليات مهمة للمحيط البيئي الذي يستفيد استفادة كبرى من ذلك، لأن عدم تدوير هذه المخلفات من شأنه الإضرار بالبيئة ، بأن ترمى النفايات، وتصرف المياه غير الصالحة إلى البحار ، أوالأنهار ، أو تدفن في الأراضي، ومن ثم يظهر ضررها على المزروعات ،وعلى المياة الجوفية ، أو في إهلاك الكائنات البحرية؛ وهو ما سيعود بالضرر على صحة الإنسان نفسه لأنه سيستهلك المزروعات وكائنات البحر التي تلوثت بالمياه غير الصالحة للإستهلاك !

5- تحقيق الأمن البيئي للأرض :

من وصايا النبي – صلى الله عليه وسلم – للصحابي الجليل معاذ بن جبل – رضي الله عنه – لما بعثه إلى اليمن، حيث بدأها بقوله : (**يا معاذ أوصيك بتقوى الله العظيم، وصدق الحديث، وأداء الأمانة،وترك الخيانة، ..إلى قوله – صلى الله عليه وسلم – : (يا معاذ لا تفسد أرضا**)([3]). إن حفظ الأرض من التلوث تدل عليه الأحاديث التي تحث على نظافتها، وقد ربط الإسلام النظافة بالإيمان ، فجعلها قضية عقدية كقوله : (

---

[1] – انظر : تاريخ الطبري : ج4: ص 70–71.

[2] – رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، صحيح مسلم : 1: 235.

[3] – عبد الحميد شاكر، وصايا الرسول والخلفاء الراشدين، ص15.

الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق... الحديث) ([1]) فإماطة الأذى عن الطريق ما هو إلاّ تنظيف لعائق مادي ، أو نفايات صلبة، فقد ورد في التعليق على هذا الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي: والمراد بالأذى كل ما يؤذي من حجر أو مدر أو شوك أو غيره. . وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **(اتقوا اللاعنين: الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم)** . ([2]) والتخلي في الحديث السابق يشير الى تلويث الأرض أوالمياه. والنهي عن التلويث المباشر للإنسان. يقاس عليه التلويث غير المباشر من خلال المجاري ، أو عن طريق التسرب من الحفر الامتصاصية إلى مصادر المياه الجوفية. وهذا يعني أنه لا بد من تصريفها بعيدا عن مركز نشاط الإنسان ، وأماكن زراعته ، وأنه لا بد من معالجتها قبل أن تفرغ في إحدى الأماكن المعدة لذلك. **وفي ذكر الظل لمسة لطيفة،** لان ما يكون في الظل لا تطهره الشمس، فيبقى مرتعاً خصباً للجراثيم ويعمل على تكثيرها . ويقاس على البول والبراز كل ما يتلوث به الماء، ويُعَرض الإنسان لخطر الأمراض ، نتيجة لإلقاء فضلات المصانع، والحيوانات النافقة، والقمامة، في الأنهار، وعيون الماء ، وكذلك غسل الملابس الملوثة بالجراثيم في مياهها، وكل ما يؤدي إلى إفساد البيئة، وإهلاك ما فيها من حيوان أو نبات. وقد قال سبحانه : **(.... وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا.....)** (الأعراف : 56) ، كما نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن إلحاق الفساد بالمحيط الذي يعيش فيه الناس ، فقال : **(اتقوا الملاعن الثلاث ، البراز في الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل)** ([3]) فلا يسوغ إلحاق الضر بالبيئة وتلويثها ، روى الترمذي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: **(إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب، الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود)** ([4]) . وجاء أيضا في الإرشادات النبوية، التحذير من ترك أواني الطعام والشراب مكشوفة، كحديث جابر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :

---

[1] – أخرجه البخاري برقم (9).، وأخرجه مسلم برقم (35).

[2] – أمَّا (اللَّعَّانَانِ) فَكَذَا وَقَعَ فِي صحيح مسلم ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ (اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ) وَالرِّوَايَتَانِ صَحِيحَتَانِ ، أي : اتَّقُوا الْأَمْرَيْنِ الْمَلْعُونُ فَاعِلُهُمَا ، وَهَذَا عَلَى رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ . وَأَمَّا رِوَايَةُ مُسْلِمٍ فَمَعْنَاهَا – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – اتَّقُوا فِعْلَ اللَّعَّانَيْنِ أَيْ : صَاحِبَيِ اللَّعْنِ ، وَهُمَا اللَّذَانِ يَلْعَنُهُمَا النَّاسُ فِي الْعَادَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . شرح النووي على مسلم : 1: 226. **والتخلي** : كناية عن التبول والتغوط في موضع يمر به الناس ،أو يستريحون فيه في ظل الأشجار ، انظر المصباح المنير . مادة : برز ،وشرح النووي على مسلم : 3: 162. بتصرف واختصار .

[3] – الألباني ، صحيح سنن أبي داود: ج1 ص 8.

[4] – المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ج7: ص 218 .

(أطفئوا المصابيح إذا رقدتم ، غلقوا الأبواب ، وأوكوا الأسقية ، وخمّروا الطعام والشراب ، .....) ([1]) وفي ذلك حفظ للطعام والشراب من سقوط الحشرات المؤذية التي تنقل جراثيم المرض، وهذا من أهم سبل الوقاية من الأمراض وأسبابها. وهذا النهي عن تلويث الموارد والطرق جزء من توجيهات الإسلام للحفاظ على صحة البيئة. ولقد حذر الله سبحانه في مواضع متعددة من كتابه الكريم من الفساد في الأرض.. والفساد البيئي جزء من هذا الفساد في الأرض، بل هو أول ما يتبادر إلى الذهن في هذا المقام. فقد قال عز من قائل: **(ولا تفسدوا في الأرض ...)** (الأعراف: 8) وقال سبحانه: **(وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)** (القصص: 77). وقد تكرر في القرآن النهي عن الإفساد في الأرض ، بعد أن خلقها الله صالحة مهيأة لمنفعة المستخلفين فيها، وأعلن أن الله لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين، ويشمل هذا إفساد البيئة، وتلويثها، والعدوان عليها ، والانحراف بها عما خلقه الله لها، فهذا ضرب من الكفران بالنعم، الذي يجلب النِّقم، وينذر مقترفيه بعذاب شديد يوشك أن ينزل بهم كما نزل بعاد وثمود، والذين من بعدهم، قال تعالى منذرا المفسدين : **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6 (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14))** (الفجر: 6 _ 14) وقد خص الله بالذكر ذلك النوع من الفساد الذي يستأصل النبات والحيوان فقال: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ)** (البقرة: 205) . ومما يجدر ذكره أن حسن استخدام الطريق ، ومنع الأذى والضرر فيها ، قد كفله الإسلام وشدد عليه ، ورغب فيه، انطلاقاً من أحاديث الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – : **(من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم)** ([2]) **وقال : (من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة ، ومن تُقبلت له حسنة دخل الجنة)** ([3]) من هذه الأحاديث النبوية الشريفة يتضح لنا أن إماطة الأذى بكل أشكاله المادية والمعنوية عن الطريق عبادة ، وفرض عين على كل مسلم ، فالأذى هنا يشمل كل ما يضر بالطريق ويشوه جماله ونظافته ، أو يتسبب في وقوع حوادث الطرق أو الإرباك المروري ، أو غيرذلك من الأضرار التى تلحق بالطريق ومستخدميه ، فمثلاً : إلقاء الزجاجات الفارغة، والمخلفات من أوراق، وأكواب المشروبات الساخنة وغيرها في الطريق ، يعتبر نوعاً من

---

[1] – ابن حجر ، فتح الباري : حديث رقم : 5624.

[2] – أخرجه الطبراني في الكبير 3: 179 برقم 3050، وذكره الهيثمي في المجمع 1: 483 برقم 1001.

[3] – رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (593)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، برقم (593/462).

الأذى ، فالطريق ليس ملكاً لك تعبث فيه كيفما تشاء، ومن رحمة الله بك أنك ستؤجر فى إماطة الأذى عن الطريق ، إن حفظ صحة البيئة فيه سلامة المجتمع ، وإعلاء لكلمة الله، ومن هنا نلاحظ أن الأحاديث الشريفة تتناول جوانب الوقاية والحماية بدرجة تكون أقرب إلى الأمر والإلزام. وكلما كانت الحماية مرتبطة بالمقاصد التي جاءت بها الشريعة ، كانت درجة الإلزام أكبر . ([1])

[1] – انظر : الاسلام وصحة البيئة ، اللأستاذ الدكتور/ مجاهد أبو المجد– دكتوراه الأمراض الباطنة . أستاذ الباطنة والسكر . والغدد والكلى . كلية طب المنصورة بتصرف واختصار ,

الخاتمة

تصدى الشرع الحنيف للفساد بما يحول دون وقوعه ، وعالجه إذا وقع ، بغرس الوازع الديني، وتحذير أهل الإيمان من الوقوع فيه أو ارتكابه ، كما سَنَّ العقوبات – **المنوطة بولاة الأمر** – لردع المفسدين . وإنَّ أكبر المفاسد والمفسدات في الوقت الحاضر ، تتمثل في الاعتداء على مقصد هام من مقاصد الشريعة **وهو العقل** ، بإفساده بالمسكرات والمخدرات ، لذا لا بد من التصدي لمن يتعاطاها ، أو يقوم بترويجها بإحياء الوازع الديني في النفوس. وهذا الإحياء منوط بالأسرة ، والمدرسة ، والمسجد ووسائل الإعلام المختلفة ، ووسائل التواصل الاجتماعي ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع . كما أن مدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره ووجوهه ، والله سبحانه جعل كل المعاصي، فسادا في الأرض, فكل المخالفات خروج عن جادة الصلاح، وانحراف عن الطريق المستقيم سواء أكانت هذه المخالفات في مجال العقيدة ، أو العبادة ، أو السلوك .

كما أن **دائرة البيئة دائرة رحبة** ، يدخل فيها الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وهذه الدائرة محل كثير من آيات الله تعالى الدالة عليه، ومن هنا نجد أهمية الحفاظ عليها ، وغرس فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها لدى الناشئة ، من خلال المناهج والكتب المدرسية ، وأن تتكاتف الجهود فتقوم الأسرة ، ومؤسسات المجتمع المدني بدورها التوجيهي والتربوي. لقد اهتم الاسلام بالمحافظة على مكونات البيئة ، لأن الله سبحانه خلق الكون وسخر للإنسان كل ما فيه من أرض ، وماء ، وحيوان ، ونبات وثروات ، وهذا التسخير يشمل مكونات البيئة التي أمرنا بالإفادة منها ، بما يتفق ومنهج الله سبحانه ، ونهى عن إفساد البيئة حتى تتحقق رسالة **الاستخلاف على هذه الأرض** . لقد أصبحنا في حاجة ماسة لتكثيف الجهود نحو دراسة المعرفة البيئية بكل فروعها وتخصصاتها، لخلق أجيال جديدة قادرة على التعامل مع بيئتها على هدي من الشريعة الإسلامية. وتعمل على ترشيد استهلاك المياه، وحفظ وصيانة الموارد المائية، إضافة إلى غرس مبادئ التربية البيئية بين تلاميذ المدارس، وتوعية العامة بحق أفراد المجتمع في بيئة نظيفة، وحق البيئة ذاتها في أن تُحترم ، لأن خالقها ومالكها هو رب الكون جميعا، حتى وإن استخلفنا عليها، وسخرها لنا، ولكن لا بيدٍ لها مطلق التصرف، بل بيد الراعي الحاني على شؤون ما استخلف عليه.